نماذج من تعزيز النَّبي صلى الله عليه وسلم لقيمة العبودية و أثرها على الفرد والمجتمع

د. هاجر بنت يحيى بن عبدالله السنافي
أستاذ الثقافة الإسلامية المساعد - قسم الدراسات الإسلامية- كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة طيبة – المملكة العربية السعودية.
hsnafi@taibahu.edu.sa

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٤/١٠/١م
تاريخ القبول: ٢٠٢٤/١٠/٢٢م
تاريخ النشر: ٢٠٢٤/١١/١م

ملخص البحث:

يتناول هذا البحث بيان عناية النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم بقيمة العبودية وكيف غرسها في نفوس صَحابته رضوان الله عليهم ، وإبراز نماذج لذلك من خلال السُّنَّة النَّبويَّة الشَّريفة، وبيانِ آثار تحقيق العُبودية على الفرد المجتمع المسْلم، وذلك من خلال: التَّعرُف على حقيقة العبودية وأنواعها، بيان المسالك التي سلكها النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم لتعزيز قيمة العبودية في نُفوس صحابته - رضوان الله تعالى عليهم- وأمَّته مِن بعْده، بيان آثار تحقيق قِيمة العبودية في المجتمع المسْلم، وقد اعتمد البحث على المنهج التَّكامُلي المشتمِل على عددٍ مِن المناهج البحثية، وهي: منهجَ الاسترداد التاريخي، والمنهجَ الوصفي، والمنهجَ الاستقرائي التَّحليلي، وخلص البحث إلى عدد من النتائج، أهمها: ١- بيْن العبوديةِ والعبادة ارتباطٌ وثيق؛ فالعبادةُ منهجٌ عملي يُفسِّر معنى العبودية لله تعالى. ٢-مِن وسائل تعزيز النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم لقيمة العبودية في نفوس أمَّته: التَّذكيرُ بصفاء فِطرة البشَر التي خلقهم اللهُ عليها، والتذكير بمعانيها من خلال أذكار اليوم والليلة، وتحذيره صلى الله عليه وسلم مِن الوقوع في عُبوديَّة غيرِ الله؛ كالتَّعلُّق بالدُّنيا وجمعِ الأموال فيها بصُورةٍ تُورِث الرِّضى والسَّخَطَ لأجْلها، وتحذيره صلى الله عليه وسلم أُمَّتَه مِن سؤال النَّاس إلَّا للضَّرُورة، ٣- مِن أجلِّ آثار العبُوديَّة لله - تعالى- سموُّ الإنسان إلى أعلى مَراقي الإنسانية التي خلقه اللهُ - تعالى- عليها، وتحقيق السعادة للفرد، وضبط الهوى، والطهارة من الفواحش، ورقي المجتمع المسلم وتماسكه وصلاحه، بل وتمتد آثار العبُوديَّة لله - تعالى- لتَشمل غيرَ المسلمين؛ فالعبوديَّةُ الله - تعالى- تُحتِّم على المسلم أن يَتعامَلَ بالبِرِّ والإحسانِ مع غير المسلمين ما لم يكونوا مِن المقاتلين الأعداء.

الكلمات المفتاحية: العبودية - العبادة - آثار - البر - الإحسان.

الإحالة: السنافي، د. هاجر بنت يحيى بن عبدالله. ٢٠٢٤، نماذج من تعزيز النَّبي صلى الله عليه وسلم لقيمة العبودية وأثرها على الفرد والمجتمع، مجلة القلم للعلوم الإنسانية والتطبيقية (علميَّة - دوريَّة – محكَّمة) ١١ (٤٥) ، ٤٦٦-٤٩٢.

Examples of the Prophet Mohammed's (PBUH) servitude value promotion and its impact on individual and society

Dr. Hajar bint Yahya bin Abdullah Al-Sanafi

Assistant Professor of Islamic Culture, Department of Islamic Studies, Faculty of Arts and Humanities, Taibah University, Saudi Arabia.

Received (date): 01/10/2024
Accepted (date): 22/10/2024
Published (date): 01/11/2024

Abstract:

This article aims to explore the Prophet Mohammed's (PBUH) emphasis on the value of servitude and how he instilled it in his companions. It provides examples from Sunna and discusses the impact of realizing servitude on individuals and the Muslim community. The study examines the reality and types of servitude, the Prophet's Mohammed methods for reinforcing it, and its effects on the community. The study findings:

1. Servitude and worship are closely related; worship explains the meaning of servitude to God.
2. The Prophet Mohammed reinforced servitude by reminding his nation of their pure human nature, emphasizing daily remembrances, and warning against servitude to anything except Allah.
3. Servitude to Allah elevates individuals to their highest potential, leading to personal happiness, control over desires, moral purification, and the betterment of the Muslim community. Also, servitude to Allah extends to kindly dealing with non-Muslims.

Keyword: Servitude, worship, effects, benevolence, charity

المقدمة:

إنَّ الحمدَ لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعُوذ بالله مِن شُرور أنفُسنا وسيِّئات أعمالنا.. مَن يَهْدِه اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهد أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ، وحْده لا شريكَ له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسوله. وبعدُ..

يقول اللهُ تبارك وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذَّارِيَات : ٥٦]. في هذه الآية بيانُ الغاية التي خَلق اللهُ الخَلْقَ لأجْلها، وبعث جميعَ الرُّسل للدَّعْوة إليها؛ وهي عبادةُ الله وحْده بكُلِّ ما تَتضمَّنه معاني العبادة مِن معرفةٍ بالله، ومَحبَّةٍ له، وإقبالٍ عليه، وإعراضٍ عمَّا سِوَاه[1]. وقد تَكرَّر تأكيدُ معاني العبودية في القرآن الكريم والسُّنَّة النَّبويَّة في مَواضِعَ كثيرةٍ؛ ممَّا يُوجب علينا استحضارَ هذه الغاية في كلِّ تفاصيل الحياة الدُّنيا؛ فهي كما تَتمثَّل في العِبادات المتنوّعة تَتحقَّق في الجانب المادِّي الظَّاهر في الانشغال بالنَّهضة والعُمران؛ فتكون قِيمةُ العُبوديَّة لله - تعالى- هي الدَّافعَ لعِمارةِ الأرض والسَّعيِ فيها.

ولهذا كانت العُبوديَّةُ لله وحْده لا شريكَ له والتَّخلُّصُ مِن كلِّ العُبوديَّات الأخرى أعظمَ معاني التَّكريم الإنساني؛ إذْ يَتحرَّر الإنسانُ مِن الضَّعْفِ والذُّلِّ لأيِّ مخلوقٍ آخَرَ وينعتق مِن الخَوف منه، ولا يَصرِف حُبًّا لأحدٍ في صُورةٍ لا ينبغي أن تكونَ إلَّا لله؛ فيكون الحبُّ والذُّلُّ خالصَين لله وحْده، وهذا يُسقِط كلَّ عبوديَّةٍ لغَير الله؛ فيَتحرَّر الإنسانُ في عقيدته وفكره وعقله وحِسِّه[2]، فلا عجبَ أنْ تَصدَّرتِ العبوديَّةُ أعلى سُلَّم القِيَم الإسلامية يليها سائرُ القِيَم.

وقد اعتنى النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم بقِيمة العبودية عنايةً بالغةً؛ فسَلَك - عليه الصَّلاة والسَّلام- مَسالكَ عِدَّةً لغَرسِ هذه القِيمة العظيمة وتعزيزها في نُفوس صَحابته الكرام وأُمَّته مِن بعْده؛ وذلك لأنَّ تحقيقَ قِيمةَ العبودية يُثمِر آثارًا عظيمةً على الفرد وعلى المجتمع المسلم. وقد سَعتِ الباحثةُ في هذا البحث المعنون بـ (نماذجُ مِن تعزيز النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم لقِيمة العبودية وأثرها على الفرد والمجتمع) إلى إبراز هذا الجانب من خلال السُّنَّة النَّبويَّة الشَّريفة، وكيف اعتنى النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم بقيمة العبودية عنايةً بالغةً في غرسها في نفوس صَحابته رضوان الله تعالى عليهم، وأمَّته مِن بعْده، ثمَّ بيانِ آثار تحقيق العُبودية على الفرد وفي المجتمع المسْلم في كلِّ زمان ومكان.

أهميةً البحث: تَبرُز أهميَّةُ هذا البحث في النِّقاط التَّالية:

١- تَعلُّق هذا البحث بقِيمة العبودية إحدى القِيَم العُلْيا في المنظومة الإسلامية[3].

٢- ارتباط هذا البحث بالنَّبي صلى الله عليه وسلم منهجًا وسُلوكًا في تعزيز قيمة العبوديَّة.

٣- أهمية تحقيق قِيمة العبودية وآثارها على الفرد وفي المجتمع المسْلم.

أهداف البحث: يسعى هذا البحثُ إلى:

١- التَّعرُّف على حقيقة العبودية وأنواعها.

٢- بيان المسالك التي سلكها النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم لتعزيز قيمة العبودية في نُفوس صحابته - رضوان الله تعالى عليهم- وأمَّته مِن بعْده.

٣- بيان آثار تحقيق قِيمة العبودية في المجتمع المسْلم.

تساؤلات البحث: يحاول البحثُ الإجابةَ عن السُّؤال الرَّئيس التَّالي:

كيف غَرَس النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم قِيمةَ العبودية في نُفوس صحابته - رضوان الله تعالى عليهم- وأُمَّته مِن بعْده؟ وما هي آثارها؟

ويتفرع عن هذا السُّؤال الأساس الأسئلة الفرعية التالية:

١- ما حقيقةُ العُبوديَّة وأنواعها؟

٢- ما المسالك التي سلكها النبي صلى الله عليه وسلم لتعزيز قيمة العبودية في نفوس صحابته- رضوان الله تعالى عليهم- وأُمَّته مِن بعْده؟

٣- ما آثارُ تحقيق قِيمة العبودية على الفرد وفي المجتمع المسْلم؟

حدود البحث:

يقتصر هذا البحثُ على التَّعريفِ بقيمة العبودية، ونماذج من التَّعزيزِ النَّبوي لهذه القيمة، وآثارِ تحقيقها في المجتمع المسْلم.

الدِّراسات السَّابقة:

العُبوديَّةُ مِن الموضوعات التي تَناولها علماءُ الأمَّة والباحثون بالكتابة والدِّراسة، حيث توجد بعض الدراسات والكتب التي لها ارتباط بالموضوع ومن أهمها: العبودية في القرآن دراسة تفسيرية موضوعية، للباحثة: بدرية بنت حمود الحمد، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ٢٠٠٩م؛ وقد جمعت الباحثة في دراستها الآيات التي وردت فيها العبودية ومرادفاتها ثم عملت على دراستها دراسة تفسيرية موضوعية.

غير أني في هذا البحث سأتناول موضوع العبودية في السنة النبوية بعرض نماذج من تعزيز النبي ﷺ لقيمة العبودية وأثرها على الفرد والمجتمع.

منهج البحث:

اقتضتْ طبيعةُ البحث استخدامَ المنهج التَّكامُلي المشتمِل على عددٍ مِن المناهج البحثية، وقد استخدمت الباحثةُ المناهج التَّالية: منهجَ الاسترداد التاريخي، والمنهجَ الوصفي، والمنهجَ الاستقرائي التَّحليلي.

مصطلحات البحث:

١- **التَّعزيز:** التَّقوية والتَّشديد. جاء في مقاييس اللُّغة: "العَيْنُ والزَّاي أصلٌ صحيح واحد يدلُّ على شِدَّةٍ وقُوَّة"(٤).

وفي لسان العرب: "عَزَزْتُ القَوْمَ وأَعْزَزْتُهم وعَزَّزْتُهم: قَوَّيْتُهم وشَدَّدْتُهم"(٥)، وفي التَّنزيل قوله تعالى: ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ [سورة يس:١٤]؛ أي شَدَّدْنا، والتَّعزُّز: القُوَّة(٦).

وفي الاصطلاح يُعرَّف التَّعزيزُ بأنَّه: "الحادثُ أو المُثِيرُ الذي يُؤدِّي إلى زيادةِ احتمالِ تَكرار حدوث الاستجابةِ لموضوعِ التَّعزيز"(٧)؛ فالتَّعزيزُ يزيد مِن احتماليَّة حدوث الاستجابة لمعنًى أو سُلوكٍ مُحدَّدٍ يَرغَب فيه المُربِّي(٨).

٢- **القِيَم:** في الصِّحاح: "القِيمةُ: واحِدةُ القِيَمِ، وأصلُه الواوُ لأنَّه يقُوم مَقامَ الشَّيء"(٩)، "والقِيمةُ ثمنُ الشَّيء بالتَّقْوِيم؛ تقول: تَقاوَمُوه فيما بيْنهم، وإذا انْقادَ الشَّيءُ واستمرَّتْ طريقتُه فقد استقام لِوجهِ، ويقال: كمْ قامَتْ ناقتُك؟ أي: كمْ بَلغتْ؟ وقد قامَتِ الأَمَةُ مائةَ دِينارٍ؛ أي بَلغ قِيمتُها مائةَ دينار"(١٠)، وتقول العربُ: "ما له قِيمةٌ؛ إذا لم يَدُمْ على شيءٍ، وقَوَّمتُ السِّلعةَ واسْتَقَمْتُها: ثمَّنتُها، واستقام: اعتدل، وقَوَّمتُه: عَدَّلتُه فهو قَوِيمٌ مستقيم"(١١)، والقِيَمُ كذلك: "اسمٌ لِما يقُوم به الشَّيءُ؛ أي يَثبُت؛ كالعِماد والسِّناد؛ لِما يُعمَد ويُسنَد به ... والإقامةُ في المكان: الثَّباتُ، وإقامةُ الشَّيء: تَوْفِيةُ حقِّه"(١٢).

ممَّا تقدَّم يتبيَّن أنَّ للقِيمة في اللُّغة مَعانٍ عِدَّةً؛ منها: قِيمةُ الشَّيء وثمنُه، والاعتدالُ والاستقامة، والثَّباتُ والدَّوام والاستمرارُ، وهي أقربُ المعاني إلى موضوع هذا البحث.

والقِيَمُ مصطلحٌ يدخُل في كثيرٍ مِن العلوم؛ لذلك تَنوَّعتْ تعريفاتُه الاصطلاحية بحسَب المجال الذي يُذكر فيه. ومِن هذه التَّعريفات:

عند علماء الاجتماع: "حُكمٌ يُصدِره الإنسانُ على شيء ما مُهتديًا بمجموعة المبادئ والمعايير التي وضعها المجتمعُ الذي يعيش فيه، والذي يُحدِّد المرغوبَ فيه والمرغوبَ عنه مِن السُّلوك"(١٣).

وفي علم التَّربية: "المبادئُ الأساسية والمعاييرُ المُرشِدة لسُلوك الفرد، والتي تساعده في تقويم مُعتقَداته وأفعاله وُصولًا إلى المُثُلِ العُليا والسُّمُوِّ الخُلُقي للذَّات والمجتمع"(١٤).

ويُضبَط معنى القِيَم على سبيل العموم بقَولنا إنَّ القِيَم: "هي القواعدُ التي تقُوم عليها الحياةُ الإنسانية، وتختلف بها عن الحياة الحيوانية، كما تختلف الحضارات بحسَب تَصوُّرِها لها"(١٥).

ممَّا سبق يتبيَّن أنَّ للقِيم أهميَّةً بالغةً عند العلماء في كلِّ مجالٍ؛ لِما لها مِن دَورٍ كبيرٍ في ضبط سُلوك الفرد والمجتمع وتوجيهه، غيرَ أنَّ الاختلافَ بينهم يعُود في استمداد هذه القِيَم، وكما هو معلومٌ فإنَّ الفكرَ الإسلامي يستمدُّ قِيمَه مِن الشَّرع القويم؛ فالقِيَمُ الإسلامية كالمِيزان تُوزَن به سُلوكيَّاتُ البشَر فيَتحدَّد من خلالها ما هو مرغوبٌ فيه أمْ لا، وعلى أثر ذلك يَتميَّز المجتمعُ المسْلم عن غيره.

٣- العُبوديَّة(١٦).

خُطَّة البحث:

يتكون البحث من مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة.

المقدمة وفيها: أهمية البحث، وأهدافه، وتساؤلاته، وحدوده، والدراسات السابقة، ومنهج البحث ومصطلحاته وخطته.

المبحث الأول: مفهوم العبودية و أنواعها، وفيه مطلبان:

المطلب الأوَّل: مفهوم العبودية.

المطلب الثَّاني: أنواع العبودية.

المبحث الثَّاني: التَّعزيز النَّبوي لقيمة العبودية، وفيه ثلاثةُ مطالبَ:

المطلب الأول: التَّذكير بنقاء الفِطرة.

المطلب الثَّاني: تأكيد معاني العبودية في أذكار اليَوم واللَّيلة.

المطلب الثَّالث: التَّحذير مِن صرف العبودية لغَير الله.

المطلب الرابع: التحذير من سؤال النَّاسِ طلبًا للرِّزق والعطايا.

المبحث الثالث: آثار تحقيق قيمة العبودية في المجتمع المسْلم، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: آثار تحقيق قيمة العبودية على الفرد.

المطلب الثاني: آثار تحقيق قيمة العبودية في المجتمع.

الخاتمة: وفيها أبرزُ النتائج.

فهرس المصادر والمراجع.

نسأل الله أن ينفع بهذا البحث ويجعله خالصاً لوجهه الكريم.

المبحث الأول: مفهوم العبودية و أنواعها

المطلب الأول: مفهوم العبودية:

يدُور معنى العُبوديَّة في اللُّغة حول: الذِّلَّة والخضوع والطَّاعة؛ فالعربُ تقول: طريقٌ مُعبَّد؛ أي مَسلُوكٌ مُذلَّل، والعُبودِيَّةُ والعِبادَةُ: الطَّاعةُ(١٧).

وفي الاصطلاح عرَّفها العلماءُ تعريفاتٍ مُتعدِّدة، كلُّها ذاتُ ارتباطٍ وثيقِ الصِّلة بالمعنى اللُّغوي. ومِن هذه التَّعريفات تعريفُ الإمامِ الطَّبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ لها بقَوله: "العبادةُ الخضوعُ لله بالطَّاعة، والتَّذلُّلُ له بالاستكانة"(١٨)، وفي تعريفٍ مقارب له عرَّف ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ العبادةَ بأنَّها: "عبارةٌ عمَّا يَجمع كمالَ المَحبَّة والخضوعِ والخَوفِ"(١٩)، كما عرَّفها شيخُ الإسلام ابنُ تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقَوله: "العبادةُ اسمٌ جامعٌ لكلِّ ما يُحبُّه اللهُ ويَرضاه مِن الأقوال والأعمال الظَّاهرة والباطنة"(٢٠). وتعريفُ

شيخ الإسلام ابنِ تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا تَناول فيه العبادةَ مِن جانب الأمور التي نَتعبَّد اللهَ بها؛ فهو تعريفٌ للعِبادة باعتبار المُتعبَّد به، أمَّا تعريفُها باعتبار التَّعبُّد الذي هو فِعلُ العبد فهو: تعظيمُ الله عز وجل مَحبَّةً وذُلًّا بفعلِ أوامره واجتنابِ نواهيه(٢١)، وهذا المعنى اشتركت فيه التَّعريفاتُ السَّابقة للعبودية.

وممَّا يُلحظ في تعريف العبودية أنَّ أكثرَ العلماء لم يُفرِّقوا بينها وبين العبادة للارتباط الوثيق بيْنهما، غيرَ أنَّه يجب الإشارةُ إلى أنَّ هاتَين الكلمتَين بينهما تَرادُفٌ عند افتراقهما، أمَّا عند اجتماعهما فإنَّ الذِّهْنَ ينصرف إلى أنَّ اسمَ العبادة يدلُّ على أنواع العبادات الظَّاهرة والباطنة، أمَّا اسمُ العبوديَّة فيدلُّ على حال العبد العابد لله تعالى؛ فحالُه هي غايةُ التَّذلُّلِ والحُبِّ له الذي يدفعه للطَّاعة والامتثال لله سبحانه وتعالى؛ وعلى ذلك فإنَّ العبادةَ منهجٌ عملي يفسِّر معنى العبودية للهِ - تعالى- المعبودِ الحقِّ مِن مَحبَّةٍ وذُلٍّ وانقياد(٢٢)؛ فحقيقةُ العبودية: "الحُبُّ التَّامُّ مع الذُّلِّ التَّامِّ والخضوعِ للمحبوب"(٢٣)، ومِثلُ هذه التَّعريفات التي تتناول الأعمال القلبية -كالمَحبَّة والخَوف والرَّجاء والذُّلِّ ونحوها- إنَّما هي مُحاوَلاتٌ للوصف والتَّوضيح، لكنَّ العباراتِ تظلُّ قاصرةً عن الوصفِ التَّامِّ الكامل؛ لأنَّ هذه الأعمالَ القلبية إنَّما تُدرَك بالاتِّصاف والتَّخلُّق لا بالخَبر والوصف؛ لأنَّها مَعانٍ تقُوم في القلب والوِجْدان والشُّعور(٢٤).

المطلب الثَّاني: أنواع العبودية:

للعُبودية نَوعان:

النَّوعُ الأولُ: العبوديةُ العامَّة: هي عبوديةُ القهر والمِلْك، وهي مُتعلِّقةٌ برُبوبيَّته جَلَّ وَعَلَا. قال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾ [مَرْيَم : ٩٣]؛ فكلُّ مَن في السَّماوات والأرض - إنسًا وجِنًّا- يأتُون يومَ القيامة خاضعين ذليلين لله عَزَّوَجَلَّ، مُقِرِّين له بالعبودية(٢٥)؛ فالعبدُ في هذا النَّوعِ مِن العبودية إنَّما "أُريد به المعبَّدُ أي المُذَلَّلُ المُسخَّر؛ فتَدخُل جميعُ المخلوقات مِن جميع العالم العُلْوي والسُّفْلي مِن عاقلٍ وغَيرِه، ومِن رَطْبٍ ويابسٍ، ومُتحرِّكٍ وساكن، وظاهرٍ وكامن، ومؤمنٍ وكافر، وبَرٍّ وفاجر، وغيرِ ذلك"(٢٦).

ومِن مَظاهرِ العبودية العامَّة في الدُّنيا التَّوجُّهُ إلى الله - تعالى- حالَ الاضطرارِ والشِّدَّة؛ حتَّى الكُفَّارُ والمشركون يَتوجَّهون إلى الله - تعالى- في الشَّدائد التي تنقطع بهم فيها كلُّ سُبل النَّجاة؛ فقد أخبر اللهُ - جلَّ جلاله- عن المشركين ووصف حالهم عند الاضطرار في قَوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العَنكَبُوت : ٦٥].

ومِن مَظاهرِ العبودية العامَّة أيضًا الخضوعُ لأقدار الله ومشيئته[٢٧]؛ فهي عبوديةٌ عامَّة تشمل كلَّ البشَر والعوالمِ الأخرى لإقرارهم بحاجتهم إلى الله عَزَّوَجَلَّ، فإنَّهم وإنْ جَحَدوا بها في الظَّاهر نُفوسُهم مُقِرَّةٌ بها كما قال تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النَّمل : ١٤].

النَّوع الثَّاني: العبوديَّة الخاصَّة: هي عبوديةُ المَحبَّةِ والطَّاعة، وفعلِ الأوامر واجتناب النَّواهي، وهي مُتعلِّقة بأُلوهيَّته جَلَّوَعَلَا، وهي التي افترق فيها النَّاسُ إلى مؤمن وكافر؛ فعلى الرَّغم مِن خضوع الجميع لربِّ العالمين فإنَّ أولياءَ الله - تعالى- خضعوا له طَوْعًا واختيارا ومَحبَّةً وذُلًّا، وانقادوا لأوامره واجتنبوا نواهيه؛ فَسَمَتْ نُفوسُهم ولم يخضعوا إلَّا لله، أمَّا أعداءُ الله فكان خضوعُهم له قهرًا ورغمًا، وهذا النَّوعُ مِن العبودية يكون فيه "العبدُ بمعنى العابد؛ فيكون عابدًا لله لا يَعبُد إلَّا إيَّاه؛ فيطيع أمرَه وأمرَ رُسلِه، ويوالي أولياءَه المؤمنين المُتَّقين ويُعادي أعداءه، وهذه العِبادةُ مُتعلِّقة بإلهيَّته تعالى"[٢٨].

قال ابنُ القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وإنَّما انقسَمتِ العبوديةُ إلى خاصَّةٍ وعامَّة لأنَّ أصلَ معنى اللَّفظة الذُّلُّ والخضوع.. يقال: طريقٌ مُعبَّدٌ؛ إذا كان مُذلَّلًا بوَطْءِ الأقدام، وفلانٌ عبَّده الحُبُّ؛ إذا ذَلَّله، لكنَّ أولياءه خضعوا له وذَلُّوا طَوْعًا واختيارًا وانقيادًا لأمره ونهْيه، وأعداءه خضعوا له قهرًا ورغمًا"[٢٩]؛ "فالخَلقُ كلُّهم عبيدُ رُبوبيَّته، وأهلُ طاعته وولايته هُم عَبيدُ إلهيَّته"[٣٠].

وبناءً على ذلك تكون العبوديَّةُ بمعناها الخاصِّ هي المَعنيَّةَ والمقصودة، وهي أساسَ القِيَم كلِّها؛ لأنَّها قِيمةٌ كُليَّة شاملة ومهيمنة على جميع القِيَم الأخرى؛ لأنَّ مَبْناها قائمٌ على الإيمان بالله ربًّا وإلهًا ومُشرِّعًا، والإيمانِ برُسله عليهم السلام؛ وعلى وجه الخصوص رسالةُ النَّبي ﷺ لكَونها جاءت مُفصِّلةً للتَّشريع الخاتم المنزَّل مِن عند الله تعالى، كما تَحفَظ هذه القِيمةُ للإنسان إنسانيَّتَه، وتُحقِّق له الغايةَ مِن وجوده على هذه الأرض أكملَ تحقيق[٣١].

مِن خلال ما سبق يَتبيَّن أنَّ العبوديةَ هي تعظيمُ الله عَزَّوَجَلَّ مَحبَّةً وذُلًّا بفعلِ الأوامر واجتنابِ النَّواهي، وهي نَوعان: عبوديةٌ عامَّة هي عبوديةُ القَهْرِ والمِلْك التي يدخُل فيها كلُّ الخلائق، وعبوديةٌ خاصَّة هي عبوديةُ المَحبَّة والطَّاعة التي افترق فيها النَّاسُ إلى مؤمنٍ وكافر؛ فخضع أولياءُ الله له مَحبَّةً وذُلًّا وطَوْعًا واختيارًا، وخضع أعداؤه ذُلًّا وقهرًا.

المبحث الثاني: أساليب التَّعزيز النَّبوي لقيمة العبودية

إنَّ المُتتبِّعَ لأحاديث النَّبي صلى الله عليه وسلم وحِواراته مع صحابته الكِرام - رضوان الله تعالى عليهم- يجد عنايةً بالغةً بترسيخ قِيمة العبودية؛ فيُؤكِّد - عليه الصَّلاة والسَّلام- تارةً ضرُورةَ صفاءِ فِطرة البشَر ابتداءً في عُبوديَّتها القلبية لله تعالى، وتَوجُّهِها فِطرةً له إذا سَلِمتْ مِن الدَّخيل، وفي مَواضِعَ أخرى يَغرِس فيهم صلى الله عليه وسلم التَّعلُّقَ بالله والزُّهدَ في الدُّنيا؛ حتَّى يُحقِّقَ الإنسانُ

صِدقَ العبودية لله جَلَّوَعَلَا فلا تكونَ الدُّنيا في قلبه تستعبده بمادِّيَّتها الطَّاغية، وغيرِ ذلك مِن الأساليب التي انتهجها النَّبيُّ الكريم صلى الله عليه وسلم لغَرسِ قِيمة العبودية في نُفوس صَحابته -رضوان الله تعالى عليهم- وأمَّتِه منِ بعْده، وهذا المبحثُ يُورِد بعضَ الأمثلة الشَّاهدة على ذلك.

أولًا: التَّذكير بنقاء الفِطرة:

يُولَدُ الطِّفلُ مفطورًا على حُبِّ خالقِه والإقرارِ برُبوبيَّته، وإذا سَلِم مِن العوارض التي تُفسِد هذه الفطرة ظلَّ على صفاء فِطرته ونقائها. وقد أخبر النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم بذلك؛ فعن أبي هُريرةَ رَضِۡوَالِلَّهُعَنۡهُ قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : (مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجِّسَانِهِ؛ كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ؟)(٣٢)؛ فالنَّفسُ البشَرية إذا انتفتْ عنها المُؤثِّراتُ الخارجية المنحرفة ظلَّت على الفِطرة التي خلقها اللهُ عليها، لا تَتأثَّر مَحبَّتُها لِبارئها، ولا تَجحَد كمالَ رُبوبيَّته؛ فكلُّ مولودٍ "يُولَد على مَحبَّتِه لفاطره، وإقرارِه له برُبوبيَّته، وادِّعائه له بالعُبودية؛ فلو خلي وعدم المُعارِض لم يَعدِلْ عن ذلك إلى غَيره"(٣٣)، وقد أكد النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم ذلك في حديثٍ آخَرَ فقال ذاتَ يَومٍ في خُطْبته: (أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ.. مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا)(٣٤)، ففي هذا الحديث القُدْسي ذكر اللهُ - تعالى- صفاءَ فِطرة البشَر ابتداءً، وأنَّ اللهَ خلقهم مسلمين مستقيمين، فَطَرهم على توحيده وعلى إخلاص العبودية له، وهذا عامٌّ مُجمَل لا على وجه التَّفصيل المخصَّص بالعبادات والنُّسُك، وقيل: إنَّ المرادَ بهذا: العهدُ الذي أخذه اللهُ - تعالى- مِن البشَر كلِّهم(٣٥)، المذكورُ في قَوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ١٧٢﴾ [الأَعْرَاف: ١٧٢].

ثانيًا: تأكيد معاني العُبودية في أذكار اليَوم واللَّيلة:

رسَّخ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم في نفوس أمَّته معاني العبودية الحقَّة لله - تعالى- مِن خلال الأذكارِ العامرة لحياة المسْلم في يَومه ولَيلته، المتضمِّنةِ للحُبِّ والتَّذلُّل لله تعالى، والاعترافِ بفضله، وشُكرِ نِعَمه؛ فتَتجدَّد في النُّفوس مِثلُ هذه المعاني خلال يومِ المسْلمِ وليلتِه؛ ويَتجدَّد معها الارتباطُ القلبي بالله جَلَّوَعَلَا؛ ومِن هذه الأذكار أذكارُ الصَّباح والمساء؛ فلا يَغفَلُ عن ذلك قلبُ المسْلم العاقل حين يُردِّد هذه الأذكارَ بتَدبُّر، مُستَشعِرًا كَونَه عبدًا لله جَلَّوَعَلَا، خاضعًا مُتذلِّلًا مُحِبًا له، طامعًا في نَيلِ ثمراتِ هذه العبودية في الدُّنيا والآخِرة. جاء عن شَدَّادِ بن أَوْسٍ رَضِۡوَالِلَّهُعَنۡهُ عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم

وسلم أنَّه قال: (سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ. إِذَا قَالَ حِينَ يُمْسِي فَمَاتَ دَخَلَ الجَنَّةَ - أَوْ: كَانَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ - وَإِذَا قَالَ حِينَ يُصْبِحُ فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ مِثْلَهُ)(٣٦)، في هذا الذِّكر وصفٌ لله - تعالى- بكمالِ الصِّفات وأتمِّها، ووصفٌ للعبد بأَنْقَصِ الحالات وأَضْعَفِها، وهذا غايةٌ في الخضوع لِمن لا يستحقُّ ذلك إلَّا هو سبحانه وتعالى، وفيه تجديدُ العهدِ والوعد ما استطاع المسلمُ إلى ذلك سبيلا؛ مِن صِدقِ الإيمان، وحُسنِ التَّوكُّل، وبذلِ الطَّاعات له تعالى، وقيل: المرادُ بالعهد هنا: العهدُ الذي أخذه اللهُ مِن ذُرِّيَّةِ بني آدمَ كلِّهم، والذي ورد في سورة الأعراف هو الإقرارُ بالرُّبوبيَّة لله تعالى، والإذعانُ له بالوَحْدانيَّة، ثمَّ يَختِم العبدُ هذا الاستغفارَ بإقراره بأنَّ النِّعمَ كلَّها مِن عند الله جَلَّوَعَلَا، وأنَّه العبدُ الضَّعيف المُقصِّر في حقِّ الله تعالى؛ فيَرفَع طلبَ المغفرةِ منه سبحانه، ثمَّ ختم النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم الحديثَ ببيان الجزاء العظيم لِمن قال هذا الذِّكرَ في الصَّباح والمساء؛ فمَن قاله في صباحِ يَومه فمات دخل الجنَّةَ، وكذلك إنْ قالها في المساء(٣٧)، وبهذا الذِّكرِ العظيم يُعزِّز النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم معاني العبودية في قلب المُسْلم صباحًا ومساءً، فينشغل خلال يَومه بما يُحقِّق هذه العبوديةَ لله وحْده دون سِواه.

وثمَّة ذِكرٌ آخَرُ مِن أذكار الصَّباح والمساء يُردِّده المسْلمُ أُسْوةً بنبيِّه صلى الله عليه وسلم مُظهِرًا فيه غايةَ العبودية لله وحْده لا شريكَ له.. جاء في حديث ابنِ عُمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: "لم يكن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يَدَعُ هؤلاء الدَّعَواتِ حِينَ يُمْسِي وحِينَ يُصبِح: (اللَّهُمَّ إنِّي أَسألُكَ العافيَةَ في الدُّنيا والآخِرة، اللَّهُمَّ إنِّي أسألُكَ العفوَ والعافيَةَ في دِيني ودُنْياي وأهْلي ومالي، اللَّهُمَّ استُرْ عَورَتي -وقال عُثمانُ: عَوْراتي- وآمِنْ رَوْعَاتي، اللَّهُمَّ احفَظْني مِنْ بين يَديَّ ومِن خلْفي، وعن يميني وعن شِمالي، ومِن فَوْقي، وأعوذُ بعَظَمتِكَ أن أُغْتَالَ مِن تحْتي)(٣٨). في هذا الذِّكر سؤالُ الله - تعالى- الحفظَ مِن جميعِ العوارض المُؤذِية والأخطار المُضِرَّة؛ إذِ اشتمل على طلبِ العبدِ العافيةَ في دِينه بالوِقاية مِن كلِّ ما يُشِينُه ويُخِلُّ به، ثمَّ طلبِ سلامة دُنْياهُ من كلِّ أمرٍ قد يضرُّه فيها كالمصائبِ والبلاء ونحوهما، وطلبِ سلامة آخِرته بالوِقاية مِن أهوالها وشدائدها وأنواع عُقوباتها، وفيه طلبُ سلامةِ أهله بوِقايتِهم مِن الفتن، وحِمايتِهم من البَلايا، وسلامةِ المال بحفظِه ممَّا يُتلِفه مِن سَرِقةٍ وتَلَفٍ ونحوهما(٣٩)، فتَظهر هنا معاني العبودية لله - تعالى- وحْده في التَّوجُّهِ لله بالدُّعاء دون سِوَاه، يَتكرَّر ذلك كلَّ صباحٍ ومساء؛ يُعلِن العبدُ بها افتقارَه واحتياجه لله جَلَّوَعَلَا، وأنَّ كلَّ سلامة في الدُّنيا والآخرة هي مِن كريمِ عطاء الله له؛ فيَسأله مِن هذا العطاء الواسع الذي بين يدَيه.

ويُقاس على ذلك الأذكارُ المُتعدِّدة التي يردِّدها المسلمُ خلال اليوم واللَّيلة؛ عند نَومِه واستيقاظه، وعند طعامِه وشَرابه ونحوها؛ فكلُّها أذكارٌ تجدِّد معاني العبودية في قلب المسْلم، وتُذكِّره بحاجته وافتقاره لله جَلَّوَعَلَا، وتَبُثُّ في قلبه استشعارَ النِّعَم التي حَباه اللهُ بها مِن غير حَوْلٍ مِنه ولا قُوَّة، وتُثير صادقَ الحُبِّ والذُّلِّ والخضوعِ التَّامِّ لله وحْده، وهذه هي العبوديةُ الحقَّة لله جَلَّوَعَلَا.

ثالثًا: التَّحذير مِن صَرف العبودية لغَير الله تعالى:

مِن الطُّرق التي انتهجها النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم لتعزيز العبودية لله جَلَّوَعَلَا التَّحذيرُ مِن الأمور التي تَصرِف المسْلمَ عن تحقيق العبودية لله تعالى؛ ومِن ذلك تنبيهُ الصَّحابة الكِرام إلى خطورة الوقوع في أشكال عُبوديَّاتٍ مُتفرِّقة في الدُّنيا؛ فقد يقعُ المسْلمُ - إذا انغمس في دُنياه وانشغل بها- في عُبودية هذه الدُّنيا؛ فتَتمكَّنُ مِن قلبه تَمكُّنًا يجعله يحبُّ ويُبغِض لأجْلها، ويسعى ويعمل لها، وقد بيَّن ذلك النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم بقَوله: (تَعِسَ عبدُ الدِّينار والدِّرهم، والقَطيفةِ والخَميصة؛ إنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وإن لم يُعْطَ لم يَرْضَ)(٤٠). فقَولُ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم عبدُ الدِّينار "أي طالِبُه الحريصُ على جمعه، القائمُ على حفظه؛ فكأنَّه لذلك خادِمُه وعبدُه... وخُصَّ العبدُ بالذِّكر ليُعرَفَ انغماسُه في مَحبَّة الدُّنيا وشهواتها كالأسير الذي لا يجد خَلاصًا، ولم يَقُلْ مالكُ الدِّينار ولا جامعُ الدِّينار لأنَّ المذمومَ مِن المِلك والجمعِ الزِّيادةُ على قدرِ الحاجة"(٤١)؛ فبيَّن النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم أنَّ هؤلاء حَرَصوا على الدُّنيا وطلبها طلبًا شديدًا وتَعلَّقتْ قلوبُهم بها، وقد استعبدهم ذلك فصار عملُهم كالعبادةِ لها؛ فمَن كان هذا عملَه استحقَّ الدُّعاءَ عليه بالشَّقاء.

ويشمل تحذيرُ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم مِن التَّعلُّق بالدُّنيا التَّعلُّقُ بغَيرها مِن الأمور التي تجعل الإنسانَ عبدًا لها؛ فمَن لم يكن اللهُ معبودَه فلا بُدَّ أن يكونَ له معبودٌ سِواهُ، حتَّى وإنْ كان مُلحِدًا؛ فإنَّ ما يؤمن به ويعتقده مِن مُعتقَداتٍ ونظريَّاتٍ قد استعبدتْه فانْقادَ لها إيمانًا وحُبًّا، وقد أخبرنا اللهُ - تعالى- بذلك فقال جَلَّوَعَلَا: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ۝٤٣ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ۝٤٤﴾ [الفُرْقَان: ٤٣- ٤٤] ؛ ففي الآية بيانُ حال أهل الضَّلال؛ فكُلَّما استحسنوا شيئًا ورأوه حسنًا في هَوَى أنفُسهم اتَّخذوه دِينًا ومذهبًا، وقد حُكِيَ عن العرب قديمًا أنَّ أحدَهم كان يتَّخذ حَجَرًا يَعبُده زمنًا؛ فإذا رأى أحسنَ منه ترك الأوَّلَ وعبد الثَّاني. فحقّر اللهُ شأنهم وسوَّاهم بالأنعام التي لا تَعقِل، بلْ جعلهم في منزلةٍ أحطَّ وأحقرَ؛ لاستكبارِهم عن حقيقة خلَقْهم على الرَّغم مِن قيامِ الحُجَّة عليهم، وإرسالِ الرُّسل لهم(٤٢)؛ فيَصدُق ذلك على كلِّ مَن انفلتَ زِمامُ نفْسه مِن كلِّ قِيمةٍ ضابطة، وخضع لِهَواه وشَهوته فاستعبدتْه؛ فمِيزانُه للقَبُولِ والرَّدِّ هو هَواهُ الذي جعل منه إلهًا يُطاع ويُعبَد؛ قال ابنُ تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

"وكلُّ مَن استكبر عن عبادة الله لا بُدَّ أنْ يَعبُدَ غيرَ الله؛ فإنَّ الإنسانَ حسَّاسٌ مُتحرِّك بالإرادة... فلا بُدَّ لكلِّ عبدٍ مِن مرادٍ محبوبٍ هو منتهى حُبِّه وإرادته؛ فمَن لم يكنِ اللهُ معبودَه ومنتهى حُبِّه وإرادته -بلِ استكبرَ عن ذلك- فلا بُدَّ أنْ يكونَ له مرادٌ محبوبٌ يستعبده غيرَ الله فيكون عبدًا لذلك المراد المحبوب؛ إمَّا المالُ والجاه، وإمَّا الصُّوَرُ، وإمَّا ما يتَّخذه إلهًا مِن دون الله"(٤٣).

رابعا: التحذير من سؤال النَّاسِ طلبًا للرِّزق والعطايا:

فقد جاءت التَّوجيهاتُ النَّبويَّة لتَغرِسَ في القلوب صِدقَ التَّعلُّق بالله وحْده دُون سِوَاه، وتحريمَ مسألة المخلوق إلَّا عند الضَّرورة؛ وذلك لِما يَتضمَّنه سؤالُ النَّاس مِن ذُلٍّ لغَير الله جَلَّ وَعَلَا، والذُّلُّ لا ينبغي أنْ يكونَ إلَّا لله تعالى؛ فهو ركنٌ أصيل لتحقيق العبوديَّة له جَلَّ وَعَلَا، ورسولُنا الكريم صلى الله عليه وسلم وجَّه في هذا الباب أمَّتَه إلى أن يكونَ تَعلُّقهم بالله وحْده، وأن يَستَغنُوا عن النَّاس، وأن يُعلِّقوا حوائجَهم بالله وحْده؛ فهذا أدعى لتحقيق العبوديَّة لله عَزَّوَجَلَّ دون سِوَاهُ؛ فلا يُنزِلُ العبدُ حاجتَه إلا لله، ولا يَطلُب رزقًا إلَّا منه؛ ولذلك جاء النَّهيُ عن المسألة إلَّا في حالاتٍ مستثناة؛ منها ما جاء في قَول النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم : (إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَحِلُّ إِلَّا لِأَحَدِ ثَلَاثَةٍ: رَجُلٍ تَحَمَّلَ حَمَالَةً فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَهَا ثُمَّ يُمْسِكُ، وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَاحَتْ مَالَهُ فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ - أَوْ قَالَ سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ - وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ حَتَّى يَقُومَ ثَلَاثَةٌ مِنْ ذَوِي الْحِجَا مِنْ قَوْمِهِ: لَقَدْ أَصَابَتْ فُلَانًا فَاقَةٌ فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ - أَوْ قَالَ سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ. فَمَا سِوَاهُنَّ مِنَ الْمَسْأَلَةِ - يَا قَبِيصَةُ- سُحْتٌ يَأْكُلُهَا صَاحِبُهَا سُحْتًا)(٤٤). فبيَّن النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم حالاتٍ محدودةً يُتجاوَز عنهم فيها فيَحِلُّ لهم سؤالَ النَّاس، وإلَّا فالوعيدُ شديدٌ لِمن عرَّض نفْسَه لذُلِّ المسألة. قال صلى الله عليه وسلم: (مَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَسْأَلُ النَّاس حَتَّى يَأْتِيَ يَوْمَ القِيَامَةِ لَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ)(٤٥)، "قيل: يأتي يومَ القِيامة ذليلًا ساقطًا لا وجهَ له عند الله، وقيل: هو على ظاهِره؛ فيُحشَر ووجهُه عظمٌ لا لحمَ عليه عُقوبةً له، وعلامةً له بذَنْبه حين طلب وسأل بوجهه"(٤٦)، فالوجهُ مَحَلُّ كرامةِ الإنسان؛ ولذلك كانت العقوبةُ مِن جنس عمله؛ فلمَّا أراق ماءَ وجهه بسؤال النَّاس وجعل نفْسَه ذليلةً لهم كانت العقوبةُ مِن جنس العمل؛ يُحشَر وليس في وجهه قِطعةُ لحمٍ والعِياذُ بالله.

في مُقابِل ذلك حَثَّ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم أمَّتَه على العمل والتَّكسُّب وِقايةً للإنسان مِن الحاجة، وتَرفُّعًا عن ذُلِّ المسألة؛ فالعملُ - وإنْ كان شاقًّا أو بسيطًا- خَيرٌ مِن سؤال النَّاس؛ قال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: (لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ، فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةِ الحَطَبِ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيَبِيعَهَا، فَيَكُفَّ اللَّهُ بِهَا وَجْهَهُ؛ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاس أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ)(٤٧). وعلى الإنسان مُجاهَدةُ نفْسه، والصَّبرُ على الحاجة؛ فإنَّ مَن يَستَعفِفْ يُعِفَّه اللهُ كما جاء في حديث أبي سعيدٍ الخُدْريِّ، رضي الله

تعالى عنه: إِنَّ نَاسًا مِنَ الأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَأَعْطَاهُمْ ثُمَّ سَأَلُوهُ، فَأَعْطَاهُمْ ثُمَّ سَأَلُوهُ، فَأَعْطَاهُمْ حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ؛ فَقَالَ صلى الله عليه وسلم : (مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ الله، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ الله، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ)(٤٨). فهذه النُّصوصُ النَّبويَّة الشَّريفة وغيرُها في هذا الباب تدور كلُّها على ضرُورة تَعلُّق الإنسان بالله وحْده دون سِوَاهُ في سؤالِ الرِّزق وطلبِ الحوائج؛ لأنَّ في ذلك تحقيقَ صادقِ العبودية لله جَلَّوَعَلَا؛ قال ابنُ تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ: "وكلَّما قَوِيَ طمعُ العبد في فضل الله ورحمته، ورجاؤُه لقضاء حاجته ودفع ضَرُورته؛ قَوِيتْ عُبوديَّتُه له، وحُريَّتُه ممَّا سِوَاه؛ فكما أنَّ طمعَه في المخلوق يُوجِب عُبوديَّتَه له فيأسُه منه يُوجِب غِنى قلْبه عنه؛ كما قيل: استغنِ عمَّن شِئتَ تكنْ نظيرَه، واحتجْ إلى مَن شِئتَ تكنْ أَسيرَه"(٤٩).

فهذه الأمثلة تبين حِرص النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم على غَرسِ قِيمة العبودية في نُفوس صَحابتِه - رضوانُ الله تعالى عليهم- وأمَّتِه مِن بعْدهم؛ فقد حَرَص النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم على تذكير أمَّته بصفاء فطرتهم منذ بداية خَلْقهم؛ فالفِطرةُ السَّليمة النَّقيَّة هي تلك الخاضعةُ المُحِبَّة لخالقها، ثمَّ إنَّه في توجيهه صلى الله عليه وسلم لأمَّته بالْتزام أذكار اليوم واللَّيلة التي تَحمِل معانيَ العبوديَّة لله جَلَّوَعَلَا وتَتكرَّر على المسْلم كلَّ يومٍ عَوْنٌ له بعْد عَوْنِ الله على الثَّبات على هذه القِيمة العُليا، وكذلك تحذيرُ أمَّته مِن خطر الوقوع في عُبوديَّاتٍ ضالَّة تَصرِفهم عن العبودية الحقَّة لله جَلَّوَعَلَا، وحثهم على التَّعلُّق بالله جَلَّوَعَلَا في أمورِ الرِّزق، وسؤالِه وحْده دون سِوَاه، وحذَّر وتوعَّد مَن سأل النَّاسَ إلَّا للضَّرورة، كما أرشد إلى العمل والتكسب للحفاظ على كرامة الإنسان وعدم الذل لغيره سبحانه.

المبحث الثالث: آثار تحقيق قِيمة العبودية في المجتمع المسْلم

إنَّ قِيمةَ العبودية لله – تعالى- مِن أجلِّ القِيَم وأعْلاها، ثمَّ تنتظم حولها القِيَمُ الأخرى لتُحقِّقَ الغايةَ التي أرادها اللهُ جَلَّوَعَلَا مِن الخَلْق في هذه الدُّنيا؛ ولذلك كانت العنايةُ النَّبويَّة بقِيمة العبودية على النَّحو المُبيَّن في المبحث السَّابق؛ وذلك لما لتحقيقِها مِن ثِمارٍ عظيمةٍ يحتاج إليها المسلمُ في ذاته ومجتمعه. وفيما يلي بيانٌ لهذه الآثار العظيمة.

المطلب الأول: آثار تحقيق قِيمة العبودية على الفرد:

أولًا: الرِّفعة والكمال الإنساني:

فاللهُ جَلَّوَعَلَا حين يَذكُر رُسلَه عليهم السلام في كتابه الكريم وهُم أفضلُ الخَلْق وأكملُهم يكون وصفُ العبودية هو الوصفَ المقترِن معهم ومنهم رسولُنا الكريم أفضلُ الأنبياء والرُّسل وأكملهم؛ لأنَّ وصفَ العبودية لله - تعالى- أشرفُ الأوصاف وأعلاها؛ قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ

ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝١﴾ [الكهف: ١] ، وقال جلَّ شأنه: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ [الفُرْقَان: ١].

كما نبَّه النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم أمَّتَه إلى المكانة التي منحها اللهُ إيَّاها وشرَّفه بها فقال صلى الله عليه وسلم : (لاَ تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ؛ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ)[٥٠]؛ فالعبوديةُ وظيفةُ الخَلْق أجمعين، والرِّسالةُ اصطفاءُ الله - تعالى- له بها؛ ولذلك كان النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم أكملَ الخَلْقِ وأعلاهم منزلةً، فوجب علينا التَّأسِّي به في المُجاهَدة لتحقيق العبوديَّة الحقَّة لله تعالى؛ قال ابنُ تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذلك: "فكمالُ المخلوق في تحقيق عُبوديَّته لله تعالى، وكلَّما ازداد العبدُ تحقيقا للعبودية ازداد كمالُه وعَلتْ درجتُه، ومَن تَوهَّم أنَّ المخلوقَ يخرُج عن العبودية بوجهٍ مِن الوجوه أو أنَّ الخروجَ عنها أكملُ فهو مِن أجهلِ الخَلْق وأضَلِّهم"[٥١].

ويكفي الإنسانَ شرفًا وسُموًّا أنَّه إذا أخلص في عُبوديَّته لله وحْده لا شريكَ له، واتَّجه إلى خالقه حُبًّا له وذُلًّا؛ انعتق مِن رِقِّ كلِّ عبوديةٍ أخرى؛ فبخُضوعِه لله وحْده لا سِوَاه واستجابتِه لِما يُرضِي اللهَ وحْده لا تَستولي على قلبه الأهواءُ، ولا يقع في عُبوديةٍ لغَير الله، وهذا عَينُ السُّموِّ والرِّفعة التي تُميِّز المسْلمَ المستجيبَ لأمر الله عن غَيره ممَّن أعرض واستكبر فصار كالأنعام بلْ هو أضلُّ؛ كما أَخبر اللهُ - تعالى- عنه في كتابه الكريم بقَوله: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ۝٤٤﴾ [الفُرْقَان: ٤٤] ؛ فالذي ضَلَّ عن الهُدى بعد أن جاءه في مرتبةٍ أقلَّ مِن مرتبةِ البهائم؛ لأنَّ البهائمَ تهتدي لِما ينفعها مِن النَّبات، وتَعرِف الطَّريق إذا اعتادتْ على سُلوكه مع راعيها، وهي لا تملك قلبًا تَعقِل به، ولا مَقدِرةَ لها على النُّطْق، أمَّا الإنسانُ فوُهب السَّمعَ والبصر والفؤاد واللِّسان، ومع ذلك لم يَتَّبعِ الهدى لَمَّا جاءه فكان أضلَّ مِن البهائم[٥٢].

ثانيًا: السَّعادة والطُّمأنينة في ظلِّ العُبوديَّة لله تعالى:

السَّعادة والطُّمأنينة مَطالبُ يَلهَث خلْفها النَّاسُ بكلِّ أجناسهم، ويعتني بها المؤلِّفون ويجعلونها مواضيعَ لمُؤلَّفاتهم زاعمين معرفةَ أسرارِها والطَّريقِ المُوصِل إليها، لكنَّ هذا السِّرَّ يكمُن في العبودية الخالصة لله تعالى، وقد أخبرنا عن ذلك النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم في أحاديثه الشَّريفة؛ ومنها قَولُه عليه الصَّلاة والسَّلام: (ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ)[٥٣]، و"معنى حلاوةِ الإيمان استلذاذُ الطَّاعات، وتَحمُّلُ المَشَقَّات في رضى الله جَلَّوَعَلَا ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وإيثارُ ذلك على عَرَضِ الدُّنيا، ومَحبَّةُ العبدِ ربَّه - سبحانه وتعالى- بفعلِ طاعته وتركِ مُخالَفته، وكذلك مَحبَّةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم "[٥٤]؛ فمَن ذاق حلاوةَ الإيمان فهو يحيا

الحياةَ الطَّيِّبة التي أخبر اللهُ عَزَّوَجَلَّ عنها بقوله: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النَّحْل: ٩٧]، قال ابنُ عطيَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "إنَّ طِيبَ الحياةِ اللَّازمَ للصَّالحين إنَّما هو بنشاط نُفوسهم ونُبْلها وقُوَّة رجائهم، والرَّجاءُ للنَّفس أمرٌ مُلِذٌّ؛ فبهذا تَطيب حياتُهم وبأنَّهم احتقروا الدُّنيا فزالتْ هُمومُها عنهم"(٥٥).

وهذا واقعٌ مَعِيش مُعَايَن؛ فمَن كانت عبوديَّتُه صادقةً لله - تعالى- دون سِوَاه تَراه في سَعادةٍ وطُمأنينة وراحة، ولو كانت حياتُه مليئةً بالابتلاءات المُنغِّصة للعَيش الدُّنْيوي فإنَّه في هُدوءٍ وطمأنينة يَعجِز أن يصلَ إليها كثيرٌ مِن الغارقين في الشَّهوات والمَلذَّات، والمحاطين بأكثرِ مُتَعِ الدُّنيا.

ثالثًا: ضبط هوى النَّفس:

فالنَّفسُ إنْ لم تكن منضبطةً بضابطٍ يُؤدِّبها ويَردَعها ستَتردَّى إلى بَهيميَّةٍ أحطَّ مِن بهيميَّة الأنعام؛ إذ ينفلت الفردُ مِن كلِّ زِمامٍ، ولا يرتدع بأيِّ رادع، وهذا ما نشاهده الآن في الثَّقافة الغربية المنفتحة التي تُبيح كلَّ شيء؛ فتَراهم في مُسارَعةٍ لإشباع هوى النَّفس دون قَيدٍ ولا حَدٍّ، حتَّى فيما أبتْه الفِطَرُ، وكان مِن الشُّذوذ الذي لا تقبله النَّفسُ السَّويَّة، وكذلك يُرى مِثلُ ذلك عند بعض المسلمين ممَّن وقع في لذائذ الهوى فلم يَردَعْ نفْسَه ويُؤدِّبها، أمَّا مع تحقيق العبودية لله- تعالى- والإخلاص في ذلك له وحْده جَلَّوَعَلَا فإنَّ هوى النَّفس يَتهذَّب، ويَكسُو المرءَ وقارُ العبودية لله، وينضبط بضابط التَّقوى.

وهذا الأثرُ مِن آثار العبودية مُهِمٌّ للغاية؛ لأنَّ ضِدَّه - الذي هو فَوضَويَّةُ الهوى وعدمُ انضباطه- سببٌ في وقوع الإنسان في الشَّرِّ والفتنة والبلاء، وقد ذكر ذلك ابنُ القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند حديثه عن قَول الله تعالى: ﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [التَّوْبَة: ٦٩] ، فقال: "والمقصودُ أنَّه - سبحانه- جمع بين الاستمتاع بالخَلاق(٥٦) وبين الخَوضِ في الباطل؛ لأنَّ فسادَ الدِّين إمَّا أن يقعَ بالاعتقاد الباطل والتَّكلُّم به وهو الخَوضُ، أو يقعَ في العمل بخِلاف الحقِّ والصَّوابِ وهو الاستمتاعُ بالخَلاق؛ فالأوَّلُ البِدَعُ، والثَّاني اتِّباعُ الهوى، وهذان هُما أصلُ كلِّ شرٍّ وفتنة وبلاء، وبهما كُذِّبَت الرُّسل، وعُصِيَ الرَّبُّ، ودُخِلَت النَّارُ، وحَلَّت العُقوباتُ؛ فالأوَّلُ مِن جهة الشُّبهات، والثَّاني مِن جهة الشَّهوات؛ ولهذا كان السَّلفُ يقولون: احذرُوا مِن النَّاس صِنفَين: صاحبَ هوًى فِتنتُه هَواهُ، وصاحبُ دُنيا أعجبَتْه دُنياه... فقَولُه تعالى: ﴿ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ ﴾ إشارةٌ إلى اتِّباع الشَّهوات وهو داءُ العُصاة، وقَولُه: ﴿ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟﴾ إشارةٌ إلى الشُّبهات وهو داءُ المبتدِعةِ وأهلِ الأهواء والخُصومات،

وكثيرًا ما يجتمِعان؛ فقَلَّ مَن تجده فاسدَ الاعتقاد إلَّا وفسادُ اعتقاده يَظهر في عمله. والمقصودُ أنَّ اللهَ أخبر أنَّ في هذه الأمَّة مَن يستمتع بخَلاقه كما استمتع الذين مِن قبْله بخَلاقهم، ويخُوض كخَوضهم، وأنَّهم لهم مِن الذَّمِّ والوعيد كما للَّذين مِن قبْلهم"(٥٧).

ولَمَّا كان ضبطُ الهوى يَتطلَّب مُجاهَدةً شديدةً، وصبرًا وجَلَدًا على تَحمُّل الشَّهوات ومُدافَعة الشُّبهات؛ كان الجزاءُ على ذلك عظيمًا فجعل اللهُ - تعالى- جزاءَ مَن نهى نفْسَه عن اتِّباع هواها أن تكونَ الجنَّةُ مَسكَنًا له ومأوًى؛ قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝﴾ [النَّازِعَات: ٤٠ - ٤١]، "ونَهْيُ الخائفِ نفْسَه مُستعارٌ للانكفاف عن تَناوُل ما تُحِبُّه النَّفسُ مِن المعاصي والهوى؛ فجُعِلتْ نفسُ الإنسان بمنزلة شخصٍ آخَرَ يدعُوه إلى السَّيِّئات وهو يَنهاه عن هذه الدَّعْوة، وهذا يُشبِه ما يُسمَّى بالتَّجريد؛ يقولون: قالتْ له نفْسُه كذا فعصاها، ويقال: نهى قلبَه ... والمرادُ بالهوى ما تَهْواهُ النَّفسُ؛ فهو مصدرٌ بمعنى المفعول مِثلَ الخَلْق بمعنى المخلوق؛ فهو ما ترغب فيه قُوى النَّفس الشَّهَويَّة والغَضبيَّة ممَّا يخالف الحقَّ والنَّفعَ الكامل، وشاع الهوى في المرغوب الذَّميم"(٥٨).

رابعًا: الوقاية من الوقوع في الفاحشة:

وهذا أثرٌ مُهمٌّ مِن آثار العبودية، وتَشتدُّ الحاجةُ إليه في هذا الزَّمن الذي تَيسَّرتْ فيه سُبلُ الوقوع في الفاحشة مُباشَرةً أو في بواعثِها ومهيِّجاتها، ومَن وفَّقه اللهُ - تعالى- لتحقيق العبودية له وحْده جَلَّ وَعَلَا بالإخلاص والمُتابَعة يحْميه اللهُ - تعالى- مِن الوقوع في الفواحش والزَّلَل، ويُعِينه على مُجاهَدتها، وقد أشار شيخُ الإسلام ابنُ تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى هذا المعنى؛ فإنَّ مَن كانت مَحبَّتُه لله - تعالى- قَويَّةً وكان مُخلِصًا الدِّينَ لله جَلَّ وَعَلَا فإنَّ اللهَ - تعالى- يُنْجِيه مِن الوقوع في الفواحش، وهذا ما حصل مع نبيِّ الله يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، قال ابنُ تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ولهذا لَمَّا كان يوسفُ مُحِبًّا لله مُخلِصًا له الدِّينَ لم يُبتَلَ بذلك، بلْ قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ۝﴾ [يُوسُف : ٢٤]، أمَّا امرأةُ العزيز فكانت مُشرِكةً هي وقَومُها فلهذا ابتُلِيتْ بالعِشق، وما يُبتلَى بالعِشق أحدٌ إلَّا لنَقصِ توحيده وإيمانه، وإلَّا فالقلبُ المُنِيبُ إلى الله الخائفُ منه فيه صارفان يَصرِفان عن العِشق؛ أحدُهما: إنابتُه إلى الله ومَحبَّتُه له؛ فإنَّ ذلك ألذُّ وأطْيبُ مِن كلِّ شيء فلا تَبقَى مع مَحبَّة الله مَحبَّةُ مخلوق تُزاحِمه، والثَّاني خَوفُه مِن الله فإنَّ الخَوفَ المُضادَّ للعشق يَصرِفه"(٥٩)؛ فعبوديةُ الله - تعالى- بكلِّ ما فيها مِن حُبٍّ وذُلٍّ وتعظيمٍ له - جلَّ جلاله- سبيلٌ قويٌّ للوِقاية من الفواحش؛ ولهذا إذا كان القلبُ ضعيفًا في عُبوديَّته لله - تعالى- كان أقربَ إلى الوقوع في الفاحشة، والعِياذُ بالله.

المطلب الثَّاني: آثارتحقيق قيمة العبودية في المجتمع:

إذا تحققت آثارَ العبوديَّة أفراد المجتمع فسينتج مجتمعٌ يسعى لتحقيق الغاية العظيمة التي خلق اللهُ الخَلْقَ لأجْلها، ويَظهر ذلك مِن خلال عَلاقات الأفراد فيما بينهم؛ لأنَّها تقوم على كلِّ ما يُرضِي اللهَ عَزَّوَجَلَّ، وفيما يلي أمثلةٌ لآثار تحقيق العبودية في المجتمع المسلم.

أولاً: قيام أفراد المجتمع بما يجب على بعضهم مِن حقوقٍ تُجاه البعض الآخَر؛ كتلك التي بيَّنها النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم بقَوله: (حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ)، قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللهِ؟، قَالَ: (إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَ فَسَمِّتْهُ[٦٠]، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ)[٦١].

ثانياً: تَعاوُن أفراد المجتمع في قضاء حوائجهم، مستحضرين في ذلك الفضلَ العظيم الذي أخبر عنه النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم بقوله: (المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ الله فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ)[٦٢].

ثالثاً: الرَّأفة والرَّحمة بين أفراد المجتمع؛ ويتوَّلدان مِن الشُّعور بالتَّكافُل بين أفراده بكلِّ الطُّرق المُمكِنة؛ مِصْداقًا لقَولِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم : (إِنَّ المُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا) وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ[٦٣]، ويَظهر ذلك في تَكافُل أفراد المجتمع الواحد؛ كعطفِ القويِّ على الضَّعيف، وإحسانِ الغنيِّ إلى الفقير، والقادرِ إلى العاجز؛ ليكونَ المجتمعُ كالجسد الواحد والبناء المُتماسِك؛ قال صلى الله عليه وسلم : (تَرَى المُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى)[٦٤].

رابعاً: سلامة صُدور أفراد المجتمع فيجتنبون الغِلَّ والحسد فيما بينهم؛ قال صلى الله عليه وسلم : (ثَلاَثٌ لاَ يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ: إِخْلاَصُ العَمَلِ لِلَّهِ، وَمُنَاصَحَةُ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ؛ فَإِنَّ الدَّعْوَةَ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ)[٦٥]؛ فإنَّه مَن تَخلَّق هذه الصِّفات سَلِم مِن الغِلِّ والحسد، وأوَّلُها الإخلاصُ لله تعالى، وهو طريقُ تحقيق العُبوديَّة لله جَلَّوَعَلَا دون سِوَاه.

خامساً: التَّواصي بين المسلمين بالأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر؛ فيساند المجتمعُ بعضُه بعضًا، وهُم بذلك آخذين بأمر النَّبي صلى الله عليه وسلم وتوجيهه الوارد في الحديث: (إِيَّاكُمْ وَالجُلُوسَ بِالطُّرُقاتِ) فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا لَنَا مِنْ مَجَالِسِنَا بُدٌّ نَتَحَدَّثُ فِيهَا، فَقَالَ: (إِذْ أَبَيْتُمْ إِلَّا المَجْلِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ) قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيق يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: (غَضُّ البَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَى، وَرَدُّ السَّلام، وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ)[٦٦]؛ فهُم يَعلَمون يقينًا أنَّ الأمرَ بالمعروف والنَّهيَ عن المنكَر طريقُ النَّجاة مِن الشُّرور والعُقوبات العامَّة كما أخبر بذلك النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم في

أحاديثه؛ ومنها قَولُه عليه الصَّلاة والسَّلام: (مَثَلُ القَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ المَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا؛ فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا)(٦٧).

سادساً: آثار العبوديَّة على المجتمع المسْلم تتَّسع لتَشملَ غيرَ المسلمين؛ فقد جاء التَّوجيهُ الإلهي بالبِرّ بغَير المسلمين ما لم يكونوا مُعادِين مُقاتلِين فقال جلَّ جلاله: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٨﴾ [المُمْتَحنَة: ٨] ؛ "أي: لا يَنْهاكُم اللهُ عن البِرِّ والصِّلة والمُكافَأةِ بالمعروف والقِسطِ للمشركين مِن أقاربكم وغيرِهم حيث كانوا بحالٍ لم يَنتَصِبوا لقِتالكم في الدِّين والإخراج مِن دياركم؛ فليس عليكم جُناحٌ أنْ تَصِلُوهم؛ فإنَّ صِلتَهم في هذه الحالة لا محذورَ فيها ولا مَفْسَدةَ"(٦٨).

فمِن خلال الآثار السَّابقة يتَّضح أثرُ قيمة العبودية لله - تعالى- على الفرد والمجتمع؛ حيث تُكسِب الإنسانَ العِزَّةَ والرِّفعة، وتمنحه السَّعادةَ والطُّمأنينة، وتكون له دِرْعًا واقيًا مِن الوقوع في الشَّهوات والشُّبهات، ومُهذِّبةً لهَواهُ فيكون تَبَعًا لدِين الله جَلَّوَعَلَا. ثمَّ إنَّ العبوديةَ الحقَّةَ لله - تعالى- تَجعل مِن المجتمعات المُسلِمة مجتمعاتٍ إنسانيةً راقيةً بامتثال أوامر الله فيما يجب لبعضهم على البعض الآخَرِ مِن حقوقٍ وواجبات، وتَعامُلٍ حسنٍ وبِرٍّ وإحسانٍ، وكذلك مع غَير المسلمين مِن غير المُقاتلِين.

الخاتمة:

وفي نهاية هذا البحث، وبعد أنْ منَّ اللهُ جَلَّوَعَلَا عليَّ بإتمامه، يمكن عرض أهم النتائج والتوصيات:

أولاً: النتائج:

١- مَدارُ العُبوديَّة في اللُّغة على الخُضوع والذِّلَّة والطَّاعة، والمعنى الاصطلاحي للعُبودية له صِلةٌ وثيقةٌ بالمعنى اللُّغوي؛ فهي تعظيمُ الله جَلَّوَعَلَا مَحبَّةً وذُلًّا بفِعلِ أوامره واجتناب نواهيه.

٢- بيْن العبوديةِ والعبادة ارتباطٌ وثيق؛ فإنِ افترق ذِكرُهما كان بينهما تَرادُفٌ في المعنى، وإنِ اجتمعا كانت العبادةُ تعني أنواعَ العِبادات الظَّاهرةِ والباطنة، أمَّا العبوديةُ فتعني حالَ العبدِ العابدِ لله تعالى؛ وحقيقتها "الحُبُّ التَّامُّ، مع الذُّلِّ التَّامِّ والخضوعِ للمحبوب"(٦٩)، والعبادةُ منهجٌ عملي يُفسِّر معنى العبودية لله تعالى.

٣- العبوديةُ نوعان: عبوديةٌ عامَّة مُتعلِّقة برُبوبيَّة الله جَلَّوَعَلَا؛ وهي عُبوديَةُ القَهْر والمِلْك، يدخُل فيها كلُّ مَن في السَّماوات والأرض مِن عوالمَ، وعبوديَّةٌ خاصَّة مُتعلِّقة بألُوهيَّة الله تعالى؛ وهي

عُبوديَّةُ المَحبَّة والطَّاعة، وهي التي افترق فيها النَّاسُ إلى مؤمنٍ وكافر؛ فخضَع المؤمنون لله - تعالى- خضوعًا اختياريًا بمَحبَّةٍ وذُلٍّ له جَلَّوَعَلَا، وخضع الكافرون قهرًا.

٤- حرص النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم على غرسِ العُبوديَّة في نفوس صَحابته - رضوان الله تعالى عليهم- وأُمَّتِه مِن بعْدهم بطُرُقٍ شتَّى ووسائلَ مُتعدِّدةٍ؛ لأهميَّةِ العُبوديَّة وعِظَمِ شأنها، ومن صور ذلك:

أ-التَّذكيرُ بصفاء فِطرة البشَر التي خلقهم اللهُ عليها ابتداءً قبْل أن يُؤثِّرَ عليها مُؤثِّرٌ خارجي.

ب-التذكير بمعاني العُبوديَّة في أذكار اليَوم واللَّيلة، ومنها أذكارُ الصَّباح والمساء التي وجَّهَنا النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم إلى المُحافَظة عليها؛ ففي ذلك تَعاهُدٌ للنَّفْس البشَرية لتثبيت أمر العبودية فيها ليَظهَرَ أثرُها على الجوارح.

ج-تحذير النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم لأمَّتَه مِن الوقوع في عُبوديَّة غيرِ الله مُبيِّنًا خطرَ ذلك؛ وكذا التَّعلُّقِ بالدُّنيا وجمعِ الأموال فيها بصُورةٍ تُورِث الرِّضى والسَّخَطَ لأجْلها، وأنَّ ذلك يَجعل المَرءَ عبدًا لها؛ فجاء في الحديث: (تَعِسَ عبدُ الدِّينار...)، وهذا التَّعلُّقُ واردٌ مع أيِّ أمرٍ آخَرَ مِن أمور الدُّنيا وقد يصير الإنسانُ عبدًا له مِن دون الله.

د-تحذير النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم أُمَّتَه مِن سؤال النَّاس إلَّا للضَّرُورة؛ لِما في سؤالِ النَّاسِ مِن ذُلٍّ لغَيرِ الله تعالى، وكمالُ العبوديَّة لا يكون إلَّا بالذُّلِّ لله وحْده لا شريكَ له، وهو وحْده الرَّزَّاقُ فلا يُطلَب الرِّزقُ إلَّا منه؛ فالارتباطُ بين طلب الرِّزق والفضل والرَّحمة مِن الله - تعالى- وحْده وبين العبوديَّة الحقَّة الصَّادقة ارتباطٌ وثيق.

٥- قِيمةُ العبودية لله - تعالى- مِن أعلى القِيَم على الإطلاق، ولتحقيقها في النُّفوس آثارٌ عظيمةٌ؛ ومِن أجلِّ آثارها ما يلي:

أ- سموُّ الإنسان إلى أعلى مَراقي الإنسانية التي خلقه اللهُ - تعالى- عليها، حيث تُكسِبه الرِّفعةَ والكمال الذي لا يَبلُغه إلَّا بالعُبوديَّة لله - تعالى- دون سِوَاهُ.

ب-تحقق للفرد السَّعادةُ والطُّمأنينة؛ فيَستَلِذُّ المرءُ بطاعة الله تعالى، ويصل إلى حلاوة الإيمان في قلبه، وهي سعادةٌ ولَذَّةٌ غيرُ مرتبطةٍ بمادِّيَّة الدُّنيا ولذائذها.

ج-ضبط هوى النَّفس؛ إذِ النَّجاةُ في تهذيب النَّفس ورَدْعِها، وهذا يَتحقَّق للعبد - بعَونِ الله- إذا اجتهد في تحقيق العبودية لله وحْده؛ فيرتقي الإنسانُ ويسمُو عن الحياة البهيميَّة التي لا هَمَّ فيها إلَّا إشباعُ الشَّهوات، وارتقاءُ الإنسان لا يكون إلا بالسَّير على منهاج الله - تعالى- الذي ارتضاه للبشَر.

د-طَهارة الإنسان ونجاتُه من الوقوع في الفواحش مِن الآثار المُهِمَّة للعبودية؛ خاصَّةً في هذا الزَّمن الذي نعيشه؛ فإنَّ مَن يُحقِّق العبوديةَ لله وحْده دُون سِوَاهُ يكون اللهُ مُعِينًا له، ومُثبِّتًا وناصرًا يُثبِّته أمام الشَّهوات؛ فتكون العبوديَّةُ سَدًّا منيعا بتوفيق الله - تعالى- له.

٦- أما آثارُ العبوديَّة لله - تعالى- على المجتمعات المسْلمة فتتمثل في جعل التَّعامُلُ تَعامُلًا راقيًا كما أمر اللهُ تعالى؛ من خلال استيفاءُ الحقوق، وتَعاوُنُ الأفراد فيما بينهم، ومُساعَدةُ بعضِهم بعضًا، كما تنتشر الأُلْفةُ والمَحبَّة بينهم، ويَتحقَّق التَّكافُلُ الاجتماعي بين أفراد المجتمع في أعلى صُوَرِه، وتجدهم مجتمعًا يأمُر بالمعروف وينهى عن المنكر ليُسانِدَ بعضُه بعضًا أمام الفتن.

٧- آثار العبُوديَّة لله - تعالى- في المجتمع المسْلم لا تكون بين المسلمين فقط، بل تَشمل غيرَ المسلمين؛ فالعبوديَّةُ الله - تعالى- تُحتِّم على المسلم أن يَتعامَلَ بالبِرِّ والإحسانِ مع غير المسلمين ما لم يكونوا مِن المقاتلين الأعداء.

ثانياً: التوصيات والمقترحات:

١- العناية بإبراز القِيَم الإسلامية من خلال السِّيرةِ النَّبويَّة والمواقفِ العملية التي كانت في حياة النَّبي صلى الله عليه وسلم ، وكان النَّبيُّ - عليه الصَّلاة والسَّلام- يسعى مِن خلالها لغَرسِ القِيَمِ الإسلامية المختلفة.

٢- العملُ على غرسِ القِيَم الإسلامية عامَّةً وقيمةِ العبودية خاصَّةً في أفراد المجتمع الإسلامي، باستخدام جميع السُّبل والوسائل المتاحة؛ كإقرارِ مناهجَ دراسيةٍ خاصَّةٍ بالقِيَم الإسلامية تُدرَس في المدارس أُسْوةً بالجامعات، واستخدامِ وسائلِ الإعلام المختلفة والحديثة - كوسائل التَّواصُل الاجتماعي ونحوها- مِن أجْل غَرسِها ونشرِها بين النَّاس؛ فإنَّ للقِيَمِ الإسلامية - وعلى رأسها العبوديةُ لله تعالى- آثارٌ عظيمة إذا امتثلها الأفرادُ وعملوا بها.

وصلَّى اللهُ وبارَك وسلَّم على نبيِّنا محمدٍ وآله وصحْبه أجمعين.

هوامش البحث:

(١) انظر: السِّعدي، تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المَنأَن، (ص٨١٣).

(٢) انظر: نصير، إنسانيَّة الإنسان في الإسلام، (ص١٢).

(٣) انظر: المانع، القِيَم بين الإسلام والغرب، دراسة تأصيلية مقارنة، (ص٢٤).

(٤) ابن فارس، مقاييس اللغة، (ص٥٧٠).

(٥) ابن منظور، لسان العرب، (٣٧٦/٥).

(٦) انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (٥٠١/٢٠).

(٧) نشواتي، علم النَّفس التَّربوي، (ص٢٨١).

(٨) انظر: أنجلر، مدخل إلى نظريَّات الشَّخصيَّة، (ص٣٢٨).

(٩) الجَوْهَري، الصِّحاح، (٢٠١٧/٥).

(١٠) ابن منظور، لسان العرب، (٥٠٠/١٢).

(١١) الفيروزابادي، القاموس المحيط، (ص١١٥٢).

(١٢) الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، (ص٦٩٠-٦٩٢).

(١٣) زهران، علم النَّفس الاجتماعي، (ص١٢٤).

(١٤) السّلمي، مفهوم القِيَم وأهميَّتها في العملية التَّربوية وتطبيقاتها السُّلوكية من منظور إسلامي، (ص٨٢).

(١٥) الطَّريقي، الثَّقافة الإسلامية تخصُّصًا ومادَّةً وقِسمًا عِلميًّا، (ص١٤).

(١٦) أُفرد الحديثُ عن مفهوم العبودية في المطلب الأول من المبحث الأول في هذا البحث.

(١٧) انظر: الجَوْهَري، الصِّحاح، (٥٠٢/٢-٥٠٣)، ابن فارس، مقاييس اللُّغة، (ص٦٣١)، الفيروزابادي، القاموس المحيط، (ص٢٩٦).

(١٨) الطَّبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (٣٦٢/١-٣٦٣).

(١٩) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (١٣٤/١).

(٢٠) ابن تيمية، العبودية، (ص٢٩).

(٢١) انظر: ابن عثيمين، القول المفيد على كتاب التَّوحيد، (١٤/١).

(٢٢) انظر: كردي، تحقيق العبودية بمعرفة الأسماء والصِّفات، (ص١٧).

(٢٣) ابن القيِّم، مدارج السَّالكين، (٣٢/٣).

(٢٤) انظر: ابن القيِّم، بدائع الفوائد، (٢٠٠/٢-٢٠١).

(٢٥) انظر: للطَّبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (٢٦١/١٨).

(٢٦) الحَكَمي، معارج القَبُول بشرح سُلَّم الوصول إلى علم الأصول، (٤٣٥/٢).

(٢٧) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (٤٥/١).

(٢٨) ابن تيمية، العبودية، (ص٣٩).

(٢٩) ابن القيِّم، مدارج السَّالكين، (١٢٧/١).

(٣٠) المرجع السَّابق، (١٢٦/١).

(٣١) انظر: المانع، القِيَم بين الإسلام والغرب، دراسة تأصيلية مقارنة، (ص٣١).

(٣٢) أخرجه مسلمٌ في صحيحه، كتاب القدَر، باب معنى كلُّ مولودٍ يُولَد على الفِطرة، وحكمُ مَوتِ أطفال الكفَّار وأطفال المسلمين، رقم الحديث (٢٦٥٨)، (٢٠٤٧/٤).

(٣٣) ابن القيِّم، شفاء العليل، (ص٢٨٩).

(٣٤) أخرجه مسلمٌ في صحيحه، كتاب الجنَّة وصِفة نَعيمها وأهلها، باب الصِّفات التي يُعرَف بها في الدُّنيا أهلُ الجنَّة وأهلُ النَّار، رقم الحديث (٢٨٦٥)، (٢١٩٧/٤).

(٣٥) انظر: النَّووي، المنهاج شرح صحيح مسْلم بن الحجَّاج، (١٩٧/١٧).

(٣٦) أخرجه البخاريُّ في صحيحه، كتاب الدَّعَوات، باب ما يقول إذا أصبح، رقم الحديث (٦٣٢٣)، (٧١/٨).

(٣٧) انظر: ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (٩٩/١١-١٠٠).

(٣٨) أخرجه أبو داودَ في سننه، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، حديث رقم (٥٠٧٤)، (٤٠٨/٧-٤٠٩)، حديث صحيح. انظر: صحيح سُنن أبي داود، للألْباني، (٢٤٨/٣).

(٣٩) انظر: البدر، فقه الأدعية والأذكار، (ص٢٨).

(٤٠) أخرجه البخاريُّ في صحيحه، كتاب الرِّقاق، باب ما يُتَّقى مِن فتنة المال، رقم الحديث (٦٤٣٥)، (٩٢/٨).

(٤١) ابن حجر، فتح الباري، (٢٥٤/١١)، بتصرُّفٍ يسير.

(٤٢) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (١١٢/٦).

(٤٣) ابن تيمية، العبودية، (ص٩١).

(٤٤) أخرجه مسلمٌ في صحيحه، كتاب الزَّكاة، باب مَن تَحِلُّ له المسألةُ، رقم الحديث (١٠٤٤)، (٧٢٢/٢).

(٤٥) أخرجه البخاريُّ في صحيحه، كتاب الزَّكاة، باب من سأل النَّاس تكثرًا، رقم الحديث (١٤٧٤)، (١٢٣/٢)، وأخرجه مسلمٌ في صحيحه، كتاب الزَّكاة، باب كراهة المسألة للنَّاس، رقم الحديث (١٠٤٠)، (٧٢٠/٢).

(٤٦) النَّووي، المنهاج شرح صحيح مسْلم بن الحجَّاج، (١٣٠/٧).

(٤٧) أخرجه البخاريُّ في صحيحه، كتاب الزَّكاة، باب الاستعفاف عن النَّاس، رقم الحديث (١٤٧١)، (١٢٣/٢).

(٤٨) أخرجه البخاريُّ في صحيحه، كتاب الزَّكاة، باب الاستعفاف عن المسألة، رقم الحديث (١٤٦٩)، (١٢٢/٢)، وأخرجه مسلمٌ في صحيحه، كتاب الزَّكاة، باب فضل التَّعفُّف والصَّبر، رقم الحديث (١٠٥٣)، (٧٢٩/٢).

(٤٩) ابن تيمية، العبودية، (ص٧٥-٧٦).

(٥٠) أخرجه البخاريُّ في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَـٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ۝١٦﴾ [مَرْيَم : ١٦] ، رقم الحديث (٣٤٤٥)، (١٦٧/٤).

(٥١) ابن تيمية، العبودية، (ص٦٣).

(٥٢) انظر: ابن القيِّم، إعلام المُوقِّعين عن ربِّ العالمين، (٢٨١/٢).

(٥٣) أخرجه البخاريُّ في صحيحه، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، رقم الحديث (١٦)، (١٢/١)، وأخرجه مسلمٌ في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان خِصال مَن اتَّصف بهنَّ وَجَد حلاوةَ الإيمان، رقم الحديث (٤٣)، (٦٦/١). واللَّفظُ للبُخاري.

(٥٤) النَّوَوي، المنهاج شرح صحيح مسْلم بن الحجَّاج، (١٣/٢).

(٥٥) ابن عطيَّة، المحرَّر الوجيز، (٤١٩/٣).

(٥٦) في معنى قَوله تعالى: ﴿فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَـٰقِهِمْ﴾ أي: فتمتَّعوا بنصيبهم وحظِّهم مِن دُنياهم ودِينهم، ورَضُوا بذلك مِن نَصيبهم في الدُّنيا عِوضًا مِن نَصيبهم في الآخرة. جامع البيان في تأويل القرآن، للطَّبري، (٣٤٠/١٤).

(٥٧) ابن القيِّم، إعلام الموقِّعين عن ربِّ العالمين، (٢٥٥/٢-٢٥٦).

(٥٨) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير، (٩٢/٣٠).

(٥٩) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (١٣٥/١٠-١٣٦).

(٦٠) أي تشميتَ العاطس؛ يقال شمَّت بالـمُعْجَمة وسمَّت بالمهملة، وهُما لُغتان مشهورتان، والسَّمْتُ: القَصْدُ والهُدى. انظر: النَّووي، المنهاج شرح صحيح مسْلم بن الحجَّاج، (١٢٠/١٨).

(٦١) أخرجه مسلمٌ في صحيحه، كتاب السَّلام، باب مِن حقِّ المسْلم للمسْلم ردُّ السَّلام، رقم الحديث (٢١٦٢)، (١٧٠٥/٤).

(٦٢) أخرجه البخاريُّ في صحيحه، كتاب المَظالم والغَصْب، باب لا يَظلِم المُسلِمُ المُسلِمَ ولا يُسْلِمه، رقم الحديث (٢٤٤٢)، (١٢٨/٣)، وأخرجه مسلمٌ في صحيحه، كتاب البرّ والصِّلة والآداب، باب تحريم الظُّلم، رقم الحديث (٢٥٨٠)، (١٩٩٦/٤).

(٦٣) أخرجه البخاريُّ في صحيحه، كتاب الصَّلاة، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره، رقم الحديث (٤٨١)، (١٠٣/١)، وأخرجه مسلمٌ في صحيحه، كتاب البرِّ والصِّلة والآداب، باب تَراحُم المؤمنين وتَعاطُفهم وتَعاضُدهم، رقم الحديث (٢٥٨٥)، (١٩٩٩/٤).

(٦٤) أخرجه البخاريُّ في صحيحه، كتاب الآداب، باب رحمة النَّاس والبهائم، رقم الحديث (٦٠١١)، (١٠/٨)، وأخرجه مسلمٌ في كتاب البِرِّ والصِّلة والآداب، باب تَراحُم المؤمنين وتَعاطُفهم وتَعاضُدهم، رقم الحديث (٢٥٨٦)، (١٩٩٩/٤).

(٦٥) أخرجه التِّرمِذيُّ في كتاب العلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في الحثِّ على تبليغ السَّماع، رقم الحديث (٢٦٥٨)، (ص٥٩٩)، حديثٌ صحيح. انظر: صحيح سُنن التِّرمِذي، للألْباني، (٦١/٣).

(٦٦) أخرجه البخاريُّ في صحيحه، كتاب الاستئذان، باب بَدْء السَّلام، رقم الحديث (٦٢٢٩)، (٥١/٨)، وأخرجه مُسلِمٌ في صحيحه، كتاب اللِّباس والزِّينة، باب النَّهي عن الجلوس في الطُّرقات وإعطاءِ الطَّريقِ حقَّه، رقم الحديث (٢١٢١)، (١٦٧٥/٣).

(٦٧) أخرجه البخاريُّ في صحيحه، كتاب الشَّركة، باب هل يقرع في القِسْمة والاستهام فيها، رقم الحديث (٢٤٩٣)، (١٣٩/٣).

(٦٨) السِّعْدي، تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنَّان، (ص٨٥٧).

(٦٩) مدارج السَّالكين، لابن القيِّم، ٣٢/٣.

المصادروالمراجع:

١. ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب. (١٤٢٣هـ) .إعلام الموقِّعين عن رب العالمين (ط١). المملكة العربية السعودية: دار ابن الجَوْزي. قدَّم له وعلَّق عليه وخرَّج أحاديثه وآثاره: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، شارك في التخريج: أبو عمر أحمد عبد الله أحمد.

٢. نصير، آمنة محمد. (١٩٨٩م) .إنسانية الإنسان في الإسلام (ط١). القاهرة: دار الشروق.

٣. ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب. (د.ت) .بدائع الفوائد (د.ط). بيروت: دار الكتاب العربي.

٤. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد. (١٩٨٤م) .التحرير والتنوير (د.ط). تونس: الدار التونسية للنشر.

٥. كردي، فوز. (١٩٩٩م) .تحقيق العبودية بمعرفة الأسماء والصفات (رسالة ماجستير). كلية التربية للبنات بجدة.

٦. ابن كثير، إسماعيل بن عمر. (١٩٩٩م) .تفسير القرآن العظيم (ط٢). تحقيق: سامي بن محمد سلامة. الرياض: دار طيبة.

٧. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. (٢٠٠٠م) .تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ط١). تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق. بيروت: مؤسسة الرسالة.

٨. الطريقي، عبد الله، وآخرون. (١٤١٧هـ) .الثقافة الإسلامية تخصصًا ومادةً وقسمًا علميًا)ط١.(

٩. الطبري، محمد بن جرير. (٢٠٠٠م) .جامع البيان في تأويل القرآن (ط١). تحقيق: أحمد شاكر ومحمود شاكر. بيروت: مؤسسة الرسالة.

١٠. السجستاني، سليمان بن الأشعث. (٢٠٠٩م) .سنن أبي داود (ط١). تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره بللي. بيروت: دار الرسالة العالمية.

١١. الترمذي، محمد بن عيسى. (د.ت) .سنن الترمذي (ط١). اعتنى به: مشهور آل سلمان. الرياض: مكتبة المعارف.

١٢. ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب. (١٩٧٨م) .شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (د.ط). بيروت: دار المعرفة.

١٣. الجوهري، إسماعيل بن حماد. (١٩٨٧م) .الصحاح (ط٤). تحقيق: أحمد عطّار. بيروت: دار العلم للملايين.

١٤. البخاري، محمد بن إسماعيل. (١٤٢٢هـ) .صحيح البخاري (ط١). تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار طوق النجاة.

١٥. الألباني، محمد ناصر الدين. (٢٠٠٠م) .صحيح سنن أبي داود (ط٢). الرياض: مكتبة المعارف.

١٦. الألباني، محمد ناصر الدين. (٢٠٠٢م) .صحيح سنن الترمذي (ط٢). الرياض: مكتبة المعارف.

١٧. النيسابوري، الحجاج بن مسلم. (د.ت) .صحيح مسلم (د.ط). تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

١٨. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. (٢٠٢١م) .العبودية (ط١). تحقيق: نضال آغا البرزي. المدينة المنورة: دار الإمام مسلم.

١٩. زهران، حامد. (١٩٨٤م) .علم النفس الاجتماعي (ط٥). القاهرة: عالم الكتب.

٢٠. نشواتي، عبد المجيد. (٢٠٠٣م) .علم النفس التربوي (ط٤). عمان: دار الفرقان.

٢١. العسقلاني، أحمد بن علي. (د.ت) .فتح الباري شرح صحيح البخاري .رَقّم كتبه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: المكتبة السلفية.

٢٢. البدر، عبد الرزاق. (د.ت) .فقه الأدعية والأذكار (د.ط). الرياض: دار ابن عفان.

٢٣. الفيروزابادي، محمد بن يعقوب. (٢٠٠٥م) .القاموس المحيط (ط٨). تحقيق: محمد العرقسوسي. بيروت: مؤسسة الرسالة.

٢٤. ابن عثيمين، محمد بن صالح. (١٤٢٤هـ) .القول المفيد على كتاب التوحيد (ط٢). الرياض: دار ابن الجوزي.

٢٥. المانع، مانع. (٢٠٠٥م) .القيم بين الإسلام والغرب: دراسة تأصيلية مقارنة (ط١). الرياض: دار الفضيلة.

٢٦. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. (١٩٩٥م) .مجموع الفتاوى .تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

٢٧. ابن عطية، عبد الحق بن غالب. (١٤٢٢هـ) .المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (ط١). تحقيق: عبد السلام عبد الشافي. بيروت: دار الكتب العلمية.

٢٨. ابن القيم، محمد بن أبي بكر. (٢٠٠٣م) .مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (ط٧). تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي. بيروت: دار الكتاب العربي.

٢٩. أنجلز، باربرا. (١٩٩١م) .مدخل إلى نظريات الشـخصـية .ترجمة: فهد دليم. الطائف: دار الحارثي للطباعة والنشر.
٣٠. الحكمي، حافظ بن أحمد. (١٩٩٠م) .معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول (ط١). الدمام: دار ابن القيم.
٣١. الأصفهاني، حسين بن محمد. (١٤١٢هـ) .المفردات في غريب القرآن (ط١). تحقيق: صفوان عدنان الداودي. دمشق-بيروت: دار القلم.
٣٢. السـلمي، أحلام عتيق. (٢٠١٩م) .مفهوم القيم وأهميتها في العملية التربوية وتطبيقاتها السـلوكية من منظور إسلامي .مجلة العلوم التربوية والنفسية، مج٣، ع٢.
٣٣. ابن فارس، أحمد بن زكريا. (٢٠٠٨م) .مقاييس اللغة (د.ط). تحقيق: أنس الشامي. القاهرة: دار الحديث.
٣٤. النووي، يحيى بن شرف. (١٣٩٢هـ) .المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (ط٢). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

Arabic references

1. Ibn al-Qayyim, Muḥammad bin Abī Bakr bin Ayyūb. (1423). *Iʿlām al-Muwaqqiʿīn ʿan Rabb al-ʿĀlamīn* (1st ed.). Al-Mamlakah al-ʿArabiyyah as-Suʿūdiyyah: Dār Ibn al-Jawzī. Qaddam lahu wa ʿallaq ʿalayh wa kharraja aḥādīthahu wa āthārihi: Abū ʿUbaydah Mashhūr bin Ḥasan Āl Sulaymān, shārak fī at-takhreej: Abū ʿUmar Aḥmad ʿAbd Allāh Aḥmad.
2. Naṣīr, Āminah Muḥammad. (1989). *Insāniyyat al-Insān fī al-Islām* (1st ed.). Cairo: Dār al-Shurūq.
3. Ibn al-Qayyim, Muḥammad bin Abī Bakr bin Ayyūb. (n.d.). *Badāʾiʿ al-Fawāʾid* (n.d. ed.). Beirut: Dār al-Kitāb al-ʿArabī.
4. Ibn ʿĀshūr, Muḥammad al-Tāhir bin Muḥammad. (1984). *al-Taḥrīr wa al-Tanwīr* (n.d. ed.). Tunis: al-Dār al-Tūnisiyyah lil-Nashr.
5. Kurdi, Fawz. (1999). *Taḥqīq al-ʿUbūdiyyah bi-Maʿrifat al-Asmāʾ wa al-Ṣifāt* (Master's thesis). College of Education for Girls in Jeddah.
6. Ibn Kathīr, Ismāʿīl bin ʿUmar. (1999). *Tafsīr al-Qurʾān al-ʿAẓīm* (2nd ed.). Taḥqīq: Sāmī bin Muḥammad Salāmah. Riyadh: Dār Ṭayyibah.
7. Al-Saʿdī, ʿAbd al-Raḥmān bin Nāṣir. (2000). *Taysīr al-Karīm al-Raḥmān fī Tafsīr Kalām al-Manān* (1st ed.). Taḥqīq: ʿAbd al-Raḥmān bin Muʿallā al-Lawīḥq. Beirut: Muʾassasat al-Risālah.
8. Al-Ṭarīqī, ʿAbd Allāh, wa Ākharūn. (1417). *Al-Thaqāfah al-Islāmiyyah Takhaṣṣuṣan wa Māddatan wa Qisman ʿIlmiyyān* (1st ed.).
9. Al-Ṭabarī, Muḥammad bin Jarīr. (2000). *Jāmīʿ al-Bayān fī Taʾwīl al-Qurʾān* (1st ed.). Taḥqīq: Aḥmad Shākir wa Maḥmūd Shākir. Beirut: Muʾassasat al-Risālah.
10. Al-Sijistānī, Sulaymān bin al-Ashʿath. (2009). *Sunan Abī Dāwūd* (1st ed.). Taḥqīq: Shuʿayb al-Arnūʿ wa Muḥammad Kāmil Qurrah Ballī. Beirut: Dār al-Risālah al-ʿĀlamiyyah.

11. Al-Tirmidhī, Muḥammad bin ʿĪsā. (n.d.). *Sunan al-Tirmidhī* (1st ed.). ʿAṭnā bih: Mashhūr Āl Sulaymān. Riyadh: Maktabat al-Maʿārif.
12. Ibn al-Qayyim, Muḥammad bin Abī Bakr bin Ayyūb. (1978). *Shifāʾ al-ʿAlīl fī Masāʾil al-Qadhāʾ wa al-Qadar wa al-Ḥikmah wa al-Taʿlīl* (n.d. ed.). Beirut: Dār al-Maʿrifah.
13. Al-Jawharī, Ismāʿīl bin Ḥamād. (1987). *Al-Ṣiḥāḥ* (4th ed.). Taḥqīq: Aḥmad ʿAṭṭār. Beirut: Dār al-ʿIlm li-l-Malāʾīn.
14. Al-Bukhārī, Muḥammad bin Ismāʿīl. (1422). *Ṣaḥīḥ al-Bukhārī* (1st ed.). Taḥqīq: Muḥammad Zuhayr bin Nāṣir al-Nāṣir, tarqīm: Muḥammad Fuʾād ʿAbd al-Bāqī. Beirut: Dār Ṭūq al-Najāh.
15. Al-Albānī, Muḥammad Nāṣir al-Dīn. (2000). *Ṣaḥīḥ Sunan Abī Dāwūd* (2nd ed.). Riyadh: Maktabat al-Maʿārif.
16. Al-Albānī, Muḥammad Nāṣir al-Dīn. (2002). *Ṣaḥīḥ Sunan al-Tirmidhī* (2nd ed.). Riyadh: Maktabat al-Maʿārif.
17. Al-Naysābūrī, al-Ḥajjāj bin Muslim. (n.d.). *Ṣaḥīḥ Muslim* (n.d. ed.). Taḥqīq: Muḥammad Fuʾād ʿAbd al-Bāqī. Beirut: Dār Iḥyāʾ al-Turāth al-ʿArabī.
18. Ibn Taymiyyah, Aḥmad bin ʿAbd al-Ḥalīm. (2021). *Al-ʿUbūdiyyah* (1st ed.). Taḥqīq: Niḍāl Āghā al-Barzī. Al-Madīnah al-Munawwarah: Dār al-Imām Muslim.
19. Zahārān, Ḥāmid. (1984). *ʿIlm al-Nafs al-Ijtimāʿī* (5th ed.). Cairo: ʿĀlam al-Kutub.
20. Nashwātī, ʿAbd al-Majīd. (2003). *ʿIlm al-Nafs al-Tarbawī* (4th ed.). ʿAmmān: Dār al-Furqān.
21. Al-ʿAsqalānī, Aḥmad bin ʿAlī. (n.d.). *Fatḥ al-Bārī Sharḥ Ṣaḥīḥ al-Bukhārī*. Raqm kutubihi wa aḥādīthihi: Muḥammad Fuʾād ʿAbd al-Bāqī. Beirut: al-Maktabah al-Salafiyyah.
22. Al-Badr, ʿAbd al-Razāq. (n.d.). *Fiqh al-Adʿiyah wa al-Adhkār* (n.d. ed.). Riyadh: Dār Ibn ʿAfnān.
23. Al-Fayrūzābādī, Muḥammad bin Yaʿqūb. (2005). *Al-Qāmūs al-Muḥīṭ* (8th ed.). Taḥqīq: Muḥammad al-ʿIrqūsī. Beirut: Muʾassasat al-Risālah.
24. Ibn ʿUthaymīn, Muḥammad bin Ṣāliḥ. (1424). *Al-Qawl al-Mufīd ʿalā Kitāb al-Tawḥīd* (2nd ed.). Riyadh: Dār Ibn al-Jawzī.
25. Al-Mānīʿ, Mānīʿ. (2005). *Al-Qiyām bayna al-Islām wa al-Gharb: D study taʾṣīliyah muqāran* (1st ed.). Riyadh: Dār al-Faḍīlah.
26. Ibn Taymiyyah, Aḥmad bin ʿAbd al-Ḥalīm. (1995). *Al-ʿAqīdah al-Wāsiṭiyyah* (n.d. ed.). Cairo: Dār al-Maʿrifah.
27. Ibn Aṭīyah, Abd al-Ḥaqq ibn Ghalib. (1422). Al-Muḥarrar al-Wajīz fī Tafsīr al-Kitāb al-Azīz (1st ed). Taḥqīq: Abd al-Salām Abd al-Shāfī. Beirut: Dār al-Kutub al-Ilmiyyah.

28. Ibn al-Qayyim, Muḥammad ibn Abī Bakr. (2003). *Madarij al-Sālikīn Bayna Manāzil Iyyāka Nabudu wa Iyyāka Nastaīn* (7th ed). Taḥqīq: Muḥammad al-Mutaṣim Billāh al-Baghdādī. Beirut: Dār al-Kitāb al-Arabī.
29. Angels, Barbara. (1411 AH-1991). *Muqaddimah ilā Naẓarīyāt al-Shakhsiyyah*. Tarjumah: Fahd Dulaym. Ṭa'if: Dār al-Ḥārithī li-ṭibā'ah wa al-nashr.
30. Al-Ḥakāmī, Ḥāfiẓ ibn Aḥmad. (1990). *Maārij al-Qabūl bi-Sharḥ Salm al-Wuṣūl ilā Ilm al-Uṣūl* (1st ed). Al-Dammām: Dār Ibn al-Qayyim.
31. Al-Aṣfahānī, Ḥusayn ibn Muḥammad. (1412). *Al-Mufradāt fī Gharīb al-Qur'ān* (1st ed). Taḥqīq: Ṣafwān `Adnān al-Dāwūdī. Dimashq-Beirut: Dār al-Qalam.
32. Al-Sulamī, Aḥlām Atīq. (2019). Mafhūm al-Qiyam wa Ahamiyyatah fī al-Amaliyya al-Tarbawiyya wa Taqṭīqātuhā al-Sulūkiyya min Manẓūr Islāmī. Majallat al-`Ulūm al-Tarbawiyya wa al-Nafsiyya, 3(2).
33. Ibn Fāris, Aḥmad ibn Zakarīyā. (2008). *Maqāyīs al-Lugha* (d. ed). Taḥqīq: Anas al-Shāmī. Cairo: Dār al-Ḥadīth.
34. Al-Nawawī, Yaḥyā ibn Sharaf. (1392). *Al-Minhāj Sharḥ Ṣaḥīḥ Muslim ibn al-Ḥajjāj* (2nd ed). Beirut: Dār Iḥyā' al-Turāth al-`Arabī.